

جَاغَةَ الْأَسْتِقْلَالِ هَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنْ قِصَصِ بُخْلَاءِ الْجَاغِطِ الطَّرِيفَةِ . قَالَ ، قُدْسُ اللَّهِ سِرَّهُ : كَانَ أَبُو الْهَذِيلِ أَهْدَى إِلَى مُوسَى دَجَاغَةً . وَكَانَتْ دَجَاغَتُهُ الَّتِي أَهْدَاهَا دُونَ مَا كَانَ يَتَّخِذُ الْمُوسَى . وَلَكِنَّهُ بِكَرَمِهِ ، وَبِحُسْنِ خُلُقِهِ ، أَظْهَرَ التَّعَجُّبُ مِنْ سَمَنِهَا ، وَطَيَّبَ لَحْمَهَا ، وَكَانَ يَعْرِفُهُ بِالْإِمْسَاكِ الشَّدِيدِ . فَقَالَ أَبُو الْهَذِيلِ : وَكَيْفَ رَأَيْتُ ، يَا أَبَا عِمْرَانَ ، تِلْكَ الدَّجَاغَةَ ؟ قَالَ : كَانَتْ عَجَبًا مِنَ الْعَجَبِ !

فَيَقُولُ : وَتَدْرِي مَا جَنْسُهَا ؟ وَتَدْرِي مَا سَنَّاها ؟ فَإِنَّ الدَّجَاغَةَ إِنَّمَا تَطْيَبُ بِالْجِنْسِ وَالسِّنِّ . وَتَدْرِي بِأَيِّ شَيْءٍ كُنَّا نُسَمِّنُهَا ؟ فَلَا يَزَالُ فِي هَذَا ، وَمُوسَى يَضْحَكُ ضَحْكًا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا يَعْرِفُهُ أَبُو الْهَذِيلِ . وَكَانَ أَبُو الْهَذِيلِ أَسْلَمَ النَّاسُ صَدْرًا ، وَأَوْسَعُهُمْ خُلُقًا ، وَأَسْهَلُهُمْ سَهُولَةً ، فَإِنَّ ذَكَرُوا دَجَاغَةً قَالَ : أَتَيْنَ أَنْتَ ، يَا أَبَا عِمْرَانَ ، مِنْ تِلْكَ الدَّجَاغَةِ ؟ وَإِنْ ذَكَرُوا بَطَّةً أَوْ عِنَاقًا أَوْ جُزُورًا ، أَوْ بَقَرَةً ، قَالَ : فَأَيْنَ كَانَتْ هَذِهِ الْجُزُورُ فِي الْجُزُرِ مِنْ تِلْكَ الدَّجَاغَةِ فِي الدَّجَاجِ ؟ وَإِنْ أَسْتَسَمِنَ أَبُو الْهَذِيلِ شَيْئًا مِنَ الطَّيْرِ وَالْبَهَائِمِ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! وَلَا تِلْكَ الدَّجَاغَةَ . وَإِنْ ذَكَرُوا عُذُوبَةَ الشَّحْمِ قَالَ : - عُذُوبَةُ الشَّحْمِ فِي الْبَقَرِ وَالْبُطِّ ، وَبُطُونُ السَّمَكِ وَالْدَّجَاجِ ، وَلَا سِيَّمَا ذَلِكَ الْجِنْسِ مِنَ الدَّجَاجِ . وَإِنْ ذَكَرُوا مِبْلَادَ شَيْءٍ ، أَوْ قُدُومَ إِنْسَانٍ ، قَالَ : كَانَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَهْدَيْتَهَا إِلَيْكَ بِسَنَةِ ، وَمَا كَانَ بَيْنَ قُدُومِ فَلَانٍ ، وَبَيْنَ الْبُعْتَةِ بِتِلْكَ الدَّجَاغَةِ إِلَّا يَوْمٌ وَهَكَذَا كَانَتْ مَثَلًا فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَتَارِيخًا فِي كُلِّ شَيْءٍ . انْتَهَى . ذَكَرَنِي بِحِكَايَةِ هَذِهِ الدَّجَاغَةِ مُوسَى الْحَكِيمِ الَّذِي خَلَقْتُهُ أَلْمِيزَانِيَّةً . لَا عَجَبَ فِي هَذَا . فَالْإِلَهِيُّ تَفَتَّحَ لِلَّهِ ، وَحَيْثُمَا تَكُنُ الْجِنَّةُ تَجْتَمِعُ النَّسُورُ مَا قَرَأَتْ مُنَاقَشَةً ، رَسْمِيَّةً كَانَتْ أَوْ غَيْرَ رَسْمِيَّةٍ ، إِلَّا وَاقَتْ فِيهَا دَجَاغَةُ أَبِي الْهَذِيلِ الْهَزِيلَةِ . فَهُوَ يَذْكُرُهَا فِي كُلِّ مُنَاسَبَةٍ . يُصَدِّقُ هُوَ مَا يَقُولُ ، وَيُرِيدُ أَنْ نُصَدِّقَ نَحْنُ أَيْضًا أَنَّ دَجَاغَتَهُ الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَى الْوَطَنِ هِيَ فَوْقَ الْكِبَاشِ الْمَعْلُوفَةِ ، وَالْعُجُولِ الْمُسَمَّنَةِ . . . وَلَوْلَاهَا لَمْ تَكُنْ لِلْأُمَّةِ مَادَّةً أَلَا سِتْقَالَ الْفَاخِرَةِ . إِنَّهُ يَمُنُّ بِهَا ، دَائِمًا عَلَى مُوسَى » ، وَمُوسَى ، بِكَرَمِهِ . . . وَبِحُسْنِ خُلُقِهِ ، يُظْهِرُ التَّعَجُّبُ مِنْ سَمَنِهَا وَطَيَّبَ لَحْمَهَا لَا يَعْنِي مُوسَى إِلَّا أَنْ تَبْيُضَ مُضْيِفَتُهُ الْوَجْهَ وَتَقُومَ بِالْوَاجِبِ ، وَلِيَتَبَجَّحَ الْهَذِيلِيُّونَ مَا شَاؤُوا . وَإِذَا هُزُّوا وَصَخَبُوا رَتَّى لَهُمْ وَمَا زَادَ عَلَى الْقَوْلِ : يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ ! اللَّهُمَّ ! أَبْعِدْ عَنَّا اللَّيْلَةَ الظُّلُمَاءَ وَلَا تُدْخِلْنَا فِي . . .